عليك (فَحَدِّثْ) اخبر فان التحدث بالنعمة شكرها ولذا استحب بعض السلف التحدث بما عمله من الخير اذا لم يرد الرياء والافتخار

ذكر ما يشتمل على ما اثنى الله به على انبيائه العظام عليهم الصلاة والسلام من الخصال الجميلة

(٩٣)

البقرة

(وَاِذِ ابْتَلٰى) اى اختبر بمعنى كلف (اِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ) اى اوامر ونواهٍ (فَأَتَمَّهُنَّ) فأداهن تامات . قد فسرت تلك الكلمات بالخصال المذكورة في سورة التوبة والمؤمنون والاحزاب وسأل وهي ما عدا المكرر تسع وعشرون هي هذه : التوبة والعبادة والحمد والسياحة والركوع والسجود والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ حدود الله والخشوع في الصلاة وترك اللغو والزكاة وحفظ الامانة وحفظ العهد والاسلام والايمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والصدقة والصوم وحفظ الفرج وكثرة ذكر الله ومداومة الصلاة واعطاء السائل والمحروم والتصديق بيوم الدين والاشفاق من العذاب والقيام بالشهادة . وفسرت ايضا بالعشر التي هي من سنته وهي خمس في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمس في الجسد وهي تقليم الاظافر ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء . وفسرت ايضا بغير ذلك .

(٩٤)

النساء

(وَاتَّخَذَ اللهُ اِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً) اي صفيا خالص المحبة له . وفيه استعارة

لتنزهه تعالى عن الخليل بمعنى الصديق . والخليل مشتق من الخُلة وهي المحبة والصداقة التي تتخلل وتخالط النفس مخالطة معنوية او التي لا خلل فيها

(٩٥)

هود (اِنَّ اِبرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ) قد مر معنى الحليم في عدد ٤٦ (اَوَّاهٌ) كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه ومعناه في الاصل كثير التأوه وهو قول آه ونحوه مما يقال حزنا او ترحما (مُنِيبٌ) راجع الى الله فيما ينزل به من النوائب .

(٩٦)

النحل (اِنَّ اِبرَاهِيمَ كَانَ اُمَّةً) اصل معنى الامة الجماعة واطلقت على ابراهيم عليه السلام باعتبار استجماعه كمالات وفضائل لا تكاد توجد الا في امة (قَانِتاً لِلّٰهِ) اى مطيعا خاضعا (حَنِيفاً) اى مائلا عن الاديان الباطلة من الحَنَف وهو الميل عن الضلال الى الاستقامة (وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) نفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش لزعمهم انهم على ملة ابيهم ابراهيم (شَاكِراً لِاَنْعُمِهِ) روى انه كان لا يتغذى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غذاءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكراً لله على انه عافاني (اِجتَبَاهُ) اختصه واصطفاه للنبوة (وَهَدَاهُ اِلَى صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ) الى ملة الاسلام (وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) اموالا واولادا او تنويه (١) الله بذكره فكل اهل دين يتولونه (وَاِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ

(١) يقال نوّه تنويها رفع ذكره ومدحه وعظمه

صالحين) لمن اهل الجنة (٩٧)

(يَا يَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَابَ) أي التوراة (بِقُوَّةٍ) أي بجد واستظهار (١) صريم
(وَآتَيْنَاهُ ٱلْحُكْمَ) أي الحكمة وهي الفهم في التوراة وقيل النبوة (صَبِيًّا) ان احكم الله عقله في صباه واستنبأه (وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا) اي رحمة وتعطفا من عندنا (وَزَكَوٰةً) طهارة من الذنوب او نمواً على الخير (وَكَانَ تَقِيًّا) حافظاً نفسه عما يؤثم (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ) بارًّا بهما لا يعصيهما (وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا) متكبرا عاصياً لربه .

(٩٨)

(وَجَعَلْنَا لَهُمْ) اي لا سحق ويعقوب عليهما السلام المتقدم ذكرهما وفيه استعمال ضمير الجمع لاثنين (لِسَانَ صِدْقٍ) اي ثناءً حسنا صادقاً يعني محققاً فالمراد باللسان ما يوجد به من الثناء (عَلِيًّا) اي رفيعا مشهورا بين الناس (٩٩)

(وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ) اي اتل على الناس ما ذكر في الكتاب من قصة (إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ) فانه لم يعد شيئا الا وفى به وكان انتظر من وعده ثلاثة ايام حتى رجع اليه في مكانه وناهيك (٢) انه وعد الصبر على الذبح فقال لابيه ابراهيم عليه السلام (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ

(١) يقال استظهر به قرأه من ظهر قلب اي حفظاً واستظهر في طلب الشيء تحرى وأخذ بالاحتياط (٢) ناهيك كلمة تعجب واستعظام وهي كما يقال حسبك وتأويلها انه غاية فيما تطلبه ينهاك عن طلب غيره

اللهُ صَابِراً) فوفى فوصفه تعالى بهذا الخلق الحسن وان كان موجوداً في غيره من الانبياء تشريفا له بالتلقيب (وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلٰوةِ وَالزَّكٰوةِ) ذكر الاهل ليس للتخصيص بل لانه الاهم وهو ان يقبل الانسان بعد تكميل نفسه على من هو اقرب النـاس اليه بالتكميل (وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) لاستقامة اقواله وافعاله

(١٠٠)

(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا) اي مبالغـا في الصدق والتصديق لجميع الانبياء . وقيل الصادق هو المستقيم في الافعال والصديق المستقيم في الاحوال (نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) اي شرف النبوة والزلفى (١) عند الله تعالى فالعلو معنوي

(١٠١)

الانبياء (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) اي اذكرهما (إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ) هو زرع او كرم (إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ) أي رعته ليلا بلا راع (وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ) حكم داود وسليمان وفيه استعمال ضمير الجمع لاثنين (شَاهِدِينَ) عالمين رائين (فَفَهَّمْنَاهَا) أى الحكومة (سُلَيْمَانَ وَكُلًّا) من داود وسليمان (آتَيْنَاهُ حُكْمًا) نبوة (وَعِلْمًا) بطرق الحكم . قال الحسن لو لا هـذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه واثنى على هـذا باجتهاده . وقصتهما هو ان رجلين دخلا على داود احدهما صاحب حرث

(١) الزلفى : القربة

والاخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان غنم هذا دخلت زرعي ليلا فافسدته فحكم داود باعطاء رقاب الغنم بالحرث وكانت قيمة الغنم على قدر النقصان من الحرث فقال سليمان وهو على مـا قيل ابن احدى عشر سنة غيرُ هذا الحكم أرفقُ بالفريقين فعزم عليه داود ليحكمن فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى رب الغنم حتى يصلحه و يعود كهيئته يوم افسد ثم يتراداّن فقال داود القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك ٠

(١٠٢)

(إِنَّهُمْ) أي المذكورين وهم زكريا ويحيى وامه (كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ) يبادرون الى انواع الاعمال الحسنة (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) اي رغبة فينا ورهبة منا (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) خائفين متواضعين ٠

(١٠٣)

القصص

(وَلَمَّا بَلَغَ) موسى عليه السلام (أَشُدَّهُ) منتهى اشتداد جسمه وقوته وكمال عقله وهو ما بين الثلاثين والاربعين من العمر (وَٱسْتَوَىٰ) كمل وتم وهذا تفسير للاشد (آتَيْنَاهُ حُكْمًا) النبوة اوالحكمة وهي مـا احكم من قول او فعل او عمل (وَعِلْمًا) بمصالح الدارين (وَكَذَٰلِكَ) أي مثل ما آتينا موسى الحكمة والعلم لاستحقاقه اياه باحسانه (نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ) على احسانهم ٠

(١٠٤)

الصافات (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ) أي على نوح عليه السلام (فِي الْآخِرِينَ) أي أبقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الامم الى يوم القيمة (سَلَامٌ) منا (عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ) أي ثابتا فيهم (إِنَّا كَذَٰلِكَ) كما جازينا نوحا على احسانه العمل بثناء الناس عليه (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) على احسانهم.

(١٠٥)

ص (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ) ذا القوة أي الدينية (إِنَّهُ أَوَّابٌ) أي رجاع الى مرضاة الله تعالى (١٠٦)

(وَشَدَدْنَا) قوينا (مُلْكَهُ) أي ملك داود (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ) أي النبوة او كمال العلم واتقان العمل وقيل هي كل صواب وقد مر معناها ايضا في عدد ١٠٣ (وَفَصْلَ الْخِطَابِ) أي الخصام بتمييز الحق عن الباطل وقيل هو الخطاب المعتدل الذي ليس فيه اختصار مخل ولا تطويل ممل.

ذكر ما يشتمل على ما علمه الله تعالى انبياءه العظام عليهم الصلاة والسلام من الآداب الجليلة

(١٠٧)

هود (وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ) دعاه (فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي) كنعان (مِنْ أَهْلِي) يعني قد وعدتني بان تنجيهم من الغرق (وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ)

الصدق الذي لا خلف فيه (وَأَنْتَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ) اعلم الحكام واعدلهم (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) ثم علل انتفاء كونه ليس من اهله بقوله (إِنَّهُ عَمَلٌ) اي ذو عمل (غَيْرُ صَالِحٍ) اي فاسد وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن من لم يكن على دينك وان كان امسّ اقاربك رحماً فهو بعيد منك (فَلَا تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) اي مالا تعلم اصواب هو ام ليس كذلك (إِنِّي أَعِظُكَ) انهاك (أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ) بسؤالك ما لم تعلم .

(١٠٨)

مريم

قال تعالى حكاية عن جبريل مما خاطب به مريم حين وضعها لعيسى عليهما السلام (فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَداً) يسألك عن ولدك (فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً) اي صمتا وامساكاً عن الكلام في شأنه وشأن غيره (فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنْسِيًّا) قال الفخر امرها بان تنذر السكوت لئلا تسرع في الكلام مع من اتهمها لمعنيين الاول ان كلام عيسى اقوى في ازالة التهمة من كلامها وفيه دليل على ان تفويض الامر الى الافضل أَوْلى والثاني كراهة مجادلة السفهاء وفيه دليل على ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها اه

(١٠٩)

طه

قال تعالى خطابا الى موسى وهرون عليهما السلام لما امرهما بالذهاب الى فرعون ليدعواه الى الايمان (إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ) اي جاوز

الحد بادعائه الربوبية (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا) أي الطفا وارفقا له بالقول ولا تعنفاه فيه وقيل انما امرهما باللطافة لما له من حق تربية موسى (لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ) أي يتعظ (أَوْ يَخْشَى) يخاف ان يكون الامر كما تصفان فيسلم . فان قيل كيف قال لعله يتذكر مع علمه تعالى انه لا يتذكر اجيب ان معناه اذهبا على رجائكما وطمعكما .

(١١٠)

بعد ان اختار موسى عليه السلام من قومه سبعين رجلا وهم النقباء (١) ليذهبوا معه الى الطور ليأخذوا التوراة وسار بهم عجل من بينهم شوقا الى ربه وأمرهم ان يتبعوه الى الجبل فسأله تعالى عن سبب العجلة بقوله (وَمَا أَعْجَلَكَ) أي أي شيء حملك على العجلة (عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى) ان سؤال الله هذا عن سبب العجلة يتضمن انكارها من وجهين الاول كون العجلة في نفسها — بقطع النظر عما يقتضي تحسينها — مذمومة والثاني اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فاجاب موسى أولا عن الثاني لانه أهم (قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي) أي بالقرب مني يأتون على اثري من بعدي واجاب عن الاول بقوله (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) أي ليدوم رضاك عني وان المسارعة الى امتثال امرك تزيد رضاك .

(١١١)

ص قال تعالى (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) اي استخلفناك

(١) النقباء جمع نقيب وهو كالعريف على القوم لانه يتعرف اخبارهم وينقب حسن احوالهم اي يفتشها

فيها على الملك (فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ) بالعدل (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ) وهو ميل النفس نحو ما تشتهيه (فَيُضِلَّكَ) اي يعدل بك (عَنْ سَبِيلِ اللهِ) اي طريق الحق

(١١٢)

النازعات قال تعالى خطابا لموسى (إِذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ) اي جاوز الحد في الفساد (فَقُلْ هَلْ لَكَ) ميل ورغبة (إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ) تتطهر من الكفر والطغيان (وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ) ارشدك الى معرفته (فَتَخْشَىٰ) فتخافه اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة قال تعالى : (انما يخشى الله من عباده العلماء) امر تعالى موسى بان يبدأ مخاطبة فرعون بالاستفهام الذي هو بمعنى العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل عندنا واردفه الكلام الرقيق ليستدعيه باللطف في القول ويستنزله بالرفق عن عتوه .

ذكر ما يشتمل على ما قد يفهم منه توهماً صدور ما ينافي الادب عن الانبياء (ص) ودفع ذلك التوهم

(١١٣)

الاعراف (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ) من مناجاة ربه (إِلَىٰ قَوْمِهِ) بني اسرائيل (غَضْبَانَ) عليهم لعبادتهم العجل (أَسِفًا) حزينا لانفتانهم (قَالَ يَا قَوْمِ بِئْسَمَا) بئس خلافة (خَلَفْتُمُونِي) ها (مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ) اي عما امركم الله به وهو انتظاري (وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ) التي فيها التوراة وكان حاملاً لها وذلك من شدة الغضب حمية الدين فلا ينافي ذلك الادب

وقال زاده المراد بالقائها وضعها في موضع ليتفرغ لما قصده من مكالمة قومه فلما فرغ عاد اليها فاخذها بعينها اه (وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ) هرون (يَجُرُّهُ إِلَيْهِ) اي ليدنيه اليه ويسارّه و يستكشف منه كيفية الواقعة ولذلك خاف هرون ان يسبق الى قلوب قومه ما لا اصل له فقال اشفاقا على موسى كما هو مذكور في سورة طه (لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي) أى لئلا يظن القوم ما لا يليق بك وهذا التفسير هو ما ارتضاه المثبتون لعصمة الانبياء .

(١١٤)

يوسف

(وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ) اي طلبت امرأة عزيز مصر زليخا او واعيل من يوسف عليه السلام بتمحل (١) ان يواقعها (وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) اي اقبل او معناه تهيأت لك (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ) اى اعوذ بالله معاذا اي استجير والتجأ اليه مما دعوتني اليه (إِنَّهُ رَبِّي) اي سيدي العزيز (أَحْسَنَ مَثْوَايَ) اى اكرم منزلتي فلا اخونه في اهله (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) المجازون الحسن بالسيئ وقيل الزناة وكل منهما ظلم لانه وضع للشيئ في غير موضعه (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ) اي قصدت مخالطته (وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) اي ما عنده من العلم الدال على تحريم الزنا وقبحه ومعنى الاية لو لا رؤية البرهان لهمّ بها ولكن لم يقع منه همّ البتة لوجود البرهان فجواب لو لا محذوف

(١) يقال تمحل له احتال

دل عليه ما قبله وهذا هو التحقيق والظاهر من الاية فلا حاجة الى تقدير وتأويل ولا يلتفت الى ما نقله بعض المفسرين فان الدلائل قد دلت على عصمة الانبياء (كَذَٰلِكَ) ارينا ه البرهان (لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ) اي الخيانة (وَٱلْفَحْشَآءَ) اي الزنا (إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ) اي الذين اخلصهم الله من كل سوء او الذين اخلصهم الله لطاعته

(١١٥)

الكهف

(فَٱنْطَلَقَا) أي موسى والخضر عليهما السلام (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ) هي انطاكية او غيرها (ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا) اي بعضهم ولذا لم يقل استطعماهم اذ سؤالهم فرداً فرداً مستبعد وعليه فالاهل الاول غير الثاني لان الاول بمعنى الجميع والثاني بمعنى البعض فلا تكرار في الاية . وههنا سؤال وهو ان الاستطعام ليس من عادة الكرام فكيف قدم عليه موسى الكليم وذلك العالم العظيم فالجواب ان اقدام الجائع على الاستطعام امر مباح في كل الشرائع بل ربما وجب عند خوف الضرر الشديد (فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا) الاية اي ينزلوهما ويجعلوهما ضيفا وقد قيل شر القرى الذين يبخلون بالقرى

(١١٦)

الانبياء

كان لقوم ابراهيم عليه السلام يوم عيد يخرجون اليه فبعد ان رجعوا منه رأوا اصنامهم مكسرة وقد كان كسرها ابراهيم في غيابهم وجعلها جذاذا (١) وترك الكبير منها يسألوه عن كاسرها فيتبين لهم عجزه فيبكتهم

(١) الجذاذ : اسم للشيء المكسور كالحطام فيستعمل للواحد والجمع وقيل هو جمع جذاذة

(قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا) نسب الفعل الى كبيرهم وقصده اثباته لنفسه على اسلوب تعريضي تبكيتاً لهم والزاماً للحجة عليهم لانهم اذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم وانه لا يصلح الهاً كما لو قال من لم يحسن الخط وقد كتبتَ كتابا بخط رشيق أأنت كتبتَ هذا فقلتَ بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته له فليس في قوله فعله كبيرهم شائبة كذب وما روي من حديث (لابراهيم ثلاث كذبات) فهو تسمية للمعاريض كذبا لمشابهة صورته صورتها والمعراض ما لا يكون المقصود منه ظاهره ويذكر توريةً وايهاما ولذا ورد في الحديث الشريف: ان في المعاريض لمندوحة (١) عن الكذب. وقال الفخر هذا الحديث (٢) لا ينبغي ان يقبل لان نسبة الكذب الى ابراهيم لا تجوز اه (فَاسْأَلُوهُمْ) عن حالهم (إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) وانتم تعلمون عجزهم عنه

(١١٧)

(وَذَا النُّونِ) أي واذكر صاحب الحوت يونس عليه السلام (إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا) لقومه غاضبوه حين لم يؤمنوا في اول الامر وغاضبهم بمفارقته لهم (فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) أي نضيق او نقضي عليه بحبس او غيره وهو من القدر الذي معناه القضاء او التضييق لا الذي بمعنى القدرة (فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ) ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن

(١) يقال لك عنه مندوحة أي سعة وفسحة (٢) يعني حديث لابراهيم ثلاث كذبات

الحوت (أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) لنفسي في ذهابي من بين قومي من دون اذن .

(١١٨)

القصص

(وَلَمَّا وَرَدَ) أي وصل موسى عليه السلام بعد ان فر من مصر خوفاً على نفسه من فرعون (مَاءَ) بئر (مَدْيَنَ) هي قرية في مسيرة ثلاثة ايام عن مصر (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً) جماعة (مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) مواشيهم (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ) أي سواهم (امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) تمنعان اغنامهما عن الماء (قَالَ مَا خَطْبُكُمَا) أي ما شأنكما تذودان (قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ) أي حتى يرجع الرعيان من سقيهم حذراً من مزاحمة الرجال ومخالطتهم (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) أي كبير السن والمشهور انه شعيب عليه السلام وقيل غيره وما قالتاه ابداء للعذر في مباشرة السقي بانفسهما كأنهما قالتا اننا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مزاحمة الرجال وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ قد اضعفه الكبر فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يرجع الناس من سقيهم و بهذا يندفع مايقال كيف ساغ لنبي الله شعيب ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية لان الضرورات تبيح المحظورات مع ان الامر في نفسه غير محظور فالدين لا يأباه والعادات متباينة فيه فاحوال اهل البادية غير احوال اهل الحضر (فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ) انصرف (إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ) قليل او

كثير وحمله بعضهم على الطعام (فَقِيرٌ) أي محتاج (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا) بعد ان رجعتا الى ابيهما واخبرتاه بمن سقى لهما (تَمْشِي عَلَى) مع (اسْتِحْيَاءٍ) واضعة كم درعها (١) على وجهها حياءً منه وقيل استحيت منه لأنها كانت تدعوه الى ضيافتها والكريم اذا دعا غيره الى الضيافة يستحي لاسيما المرأة (قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ) ليكافئك (أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) جزاء سقيك لنا (فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ) أي قصته من قتله القبطي وقصد فرعون وملئه قتله وفراره من مصر خوفاً على نفسه من القتل (قَالَ لَا تَخَفْ) لانه لا سلطان لفرعون على مدين (نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فرعون وقومه . وههنا ثلاثة اسئلة : الاول كيف يليق بنبي الله شعيب أن يبعث ابنته الشابة الى رجل شاب قبل العلم بحاله والجواب عنه هو لما كان يعلمه من عفتها وطهارتها ويؤيد هذا تأخيرهما السقي حذراً من مخالطة الرجال ولما علمه من صلاح موسى عليه السلام مما وصفتاه له ابنتاه بعد ان رجعتا من السقي . الثاني كيف ساغ لموسى ان يمشي مع اجنبية فان ذلك يورث التهمة وقد قال عليه الصلاة والسلام اتقوا مواضع التهم والجواب عنه لا بأس بالمشي مع المرأة مع الاحتياط والورع كما فعل موسى فانه على ما روي صوب (٢) رأسه حينما بلغته الرسالة وامرها ان تمشي خلفه وتنعت له الطريق . الثالث إن موسى سقى اغنام البنتين لوجه الله تعالى فكيف يليق به اخذ الاجرة عليه فان ذلك غير جائز في المروءة والجواب عنه هو ما روي انهما لما قالت

(١) درع المرأة : قميصها (٢) صوب رأسه : خفضه

ليجزيك كره ذلك وانما اجابها لئلا يخيب قصدها لان للقاصد حرمة وانه لما جاء شعيبا قدم له طعاما فامتنع عنه فقال شعيب الست جائعا قال بلى ولكن اخاف ان يكون عوضا مما سقيت لهما واننا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا ولا نأخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فأكل وايضا ان كل من فعل معروفا وقوبل بشيء على وجه الهدية لم يحرم اخذه (قالتْ إِحْدَاهُمَا) وهي التي استدعته (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ) اى اتخذه اجيراً لرعي الغنم قال الفخر في شرح اسماء الله الحسنى ان الالفاظ الموهمة الواردة في حق الانبياء يجب الاقتصار عليها ولا يجوز ذكر الالفاظ المشتقة منها قال تعالى حاكيا عن ابنة شعيب يا ابتِ استأجره فلا يجوز ان يقال كان موسى اجيراً فكما ان المعنى معتبر كذلك الادب معتبر اه مختصراً (إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) روي أن شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت له مزاحمته الناس وتنحيته لهم عن رأس البئر حتى يسقي لها واخذه بالاحتياط والورع كما مر ذكره . وقولها هذا كلام جامع يجري مجرى المثل لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان القوة والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك

(١١٩)

الصافات

لما اراد قوم ابراهيم عليه السلام ان يخرجوا الى يوم عيدهم قالوا لابراهيم اخرج معنا وكانت تأتيه سقامة كالحمى في بعض الساعات (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ) في اوقات الليل والنهار ليعرف هل في تلك الساعة تأتيه تلك السقامة (فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ) فجعله عذرا في تخلفه عن

العيد الذي لهم وكان صادقا فيما قال لان السقم كان يأتيه في ذلك الوقت وانما تخلف عنهم ليبقى في بيت الاصنام فيقدر على تكسيرها فعلى هذا لم يقع من ابراهيم الخليل كذب اصلا ولا يجوز نسبته اليه وما روي من حديث (ما كذب ابراهيم الا ثلاث كذبات) محمول على ان يكون المراد بكونه كذبا خبرا شبيها بالكذب اه فخر ملخصا

(١٢٠)

ص (وَهَلْ) هذا الاستفهام للتعجب والتشويق الى استماع ما بعده (أَتَاكَ) يا محمد (نَبَؤُا الْخَصْمِ) أي خبره والخصم يطلق على الواحد فاكثر (إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) أي علوا سور الغرفة العالية يعني حائطها ونزلوا اليها وهي البيت الذي كان يدخله داود عليه السلام ويشتغل فيه بالعبادة (إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ) خاف لانهم نزلوا عليه من فوق وهجموا عليه في محرابه من غير اذنه (قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ) أي نحن خصمان قيل هما ملكان دخلا عليه بصورة انسانين فضمير الجمع بمعنى الاثنين (بَغَى) تعدى وظلم (بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ) فان قيل على تقدير انهم ملائكة كما هو المشهور كيف يخبرون عن انفسهم بما لم يقع والملائكة منزهون عن الكذب اجيب بان هذا الكلام من قبيل الكناية والتعريض بما وقع من داود عليه السلام على ماسيأتي (فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ) أي لا تبعد عن الحق ولا تفرط في الظلم (وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) أي وسط الطريق (إِنَّ هَذَا أَخِي) بالصحبة او بالدين (لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ

نَعْجَةً) هي الانثى من الضأن ويكنى بها عن المرأة (وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا) اي ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي في تصرفه (وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ) اي غلبني في مخاطبته اياي محاجةً (قَالَ) داود (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ) ليضمها (إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ) اي الشركاء الذين خلطوا اموالهم (لَيَبْغِي) ليتعدى (بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) اي هم قليل فما زائدة لتأكيد القلة. روي ان الملكين قالا قضي الرجل على نفسه فتنبه (وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) اى ابتليناه او امتحناه بتلك الحكومة (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا) اي ساجداً على ان الركوع مجاز عن السجود (وَأَنَابَ) رجع الى الله بالتوبة. واعلم انه ليس في هذه الاية ما يضر بمقام النبوة فان محصله ان شخصاً خطب امرأة ثم خطبها داود فآثره عليه اهلها فتزوجها فكانت زلته ان خطب على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه فلذا استغفر منه وتاب. وروى ان اهل زمان داود كان يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها وكان ذلك جائزاً في شريعة داود معتادا فيما بين امته غير مخل بالمروءة فاتفق ان داود وقعت عينه على امرأة اوريا فأحبها فسأله النزول عنها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان غير ان داود عليه السلام لعلو منزلته وارتفاع مرتبته نبه بالتمثيل على انه لم يكن ينبغي له ان يتعاطى ما يتعاطاه آحاد امته فان حسنات الابرار سيئات المقربين. واما مايحكي من

انه بعث مرة بعد مرة اوريا الى غزوة البلقاء واحب ان يقتل ليتزوج امرأته ففعل فتزوجها فهو فرية (١) بلا مرية وإفك (٢) مبتدع ومكر مخترع تمجه الاسماع وتنفر منه الطباع ويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا لمن اخترعه واذاعه ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود على ما يروى به القصاص جلدته مائة وستين .

ذكر ما يشتمل على ما حكي عن النبيين وعن بعض المؤمنين من المواعظ والنصائح وغير ذلك مما يتعلق بالاخلاق

(١٢١)

البقرة

كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو عمه ليرثوه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوا القتيل ببعضها ليحيا فيخبر بقاتله فاستبعد بنو اسرائيل ذلك و (قَالُوا) لموسى (أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا) أي أتجعلنا مهزواً بنا يعني اتسخر بنا (قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) اي التجئ اليه وامتنع به من ان اكون من السفهاء لان الهزؤ في مقام الإرشاد جهل وسفه .

(١٢٢)

الاعراف

قال تعالى حكاية عن هود عليه السلام مما وعظ قومه (فَاذْكُرُوا آلاَءَ اللهِ) نعمه عليكم (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون لا جرم فان ذكر نعم الله يفضي الى شكرها قولا بالثناء عليه وعملا بطاعته وهذا يؤدي الى

(١) الفرية : اختلاق الكذب (٢) الافك : اسوء الكذب

الفوز والظفر بالثواب (١٢٣)

(وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ) عند ذهابه الى الجبل لمناجاة ربه (اُخْلُفْنِي فِي قَوْمِي) اي كن خليفتي فيهم (وَأَصْلِحْ) أمورهم وما بينك وبينهم بالرفق بهم والاحسان اليهم (وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) في الارض بموافقتهم على الافساد

(١٢٤)

هود

قال تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام وهو يعظ قومه (وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ) اي اتموهما بالعدل (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) اى لا تنقصوهم حقوقهم (وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ) اي لا تفسدوا فيها اشد الافساد وقد كانوا متمادين فيه (مُفْسِدِينَ) حال مؤكدة اي في حال افسادكم (١٢٥)

يوسف

(اِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ اِنِّي رَأَيْتُ) في المنام (أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) اى متواضعين . قد عبر عنها بضمير من يعقل لوصفها بصفتهم وهي السجود . قال قتادة الكواكب في التأويل اخوته وكانوا احد عشر رجلا يستضاء بهم كالنجوم والشمس امه والقمر ابوه . فهم ابوه يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يفوقه على اخوته بالملك او بمراتب النبوة فخاف عليه حسدهم فامره ناصحا له بكتمان الرؤيا عنهم لانهم يعرفون تأويلها كذلك (قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ

عَلَى إِخْوَتِكَ) اى لا تخبرهم بها (فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً) اى فيحتالوا لضرتك حيلة خفية (انَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) ظاهر العداوة فيحملهم على الحسد والكيد (١٢٦)

قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام لما جاءه رسول ملك مصر ليخرجه من السجن فامتنع من الخروج حتى تظهر براءته للملك ولا يراه بعين النقص (ذٰلِكَ) اى امتناعي من الخروج من السجن والتثبت لظهور البراءة (لِيَعْلَمَ) العزيز (أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) بظهر الغيب اى لم اخنه في اهله وانا غائب عنه او غائب عني (وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) اي لا ينفذه ولا يسدده . ثم تواضع لله فقال (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي) اى لا أنزهها وذلك تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق (انَّ النَّفْسَ) الجنس (لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) اى كثيرة الامر به يعني كثيرة القصد والعزم عليه من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات (إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي) اى الا نفسا عصمها الله من ذلك (انَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ)

(١٢٧)

(وَقَالَ) يعقوب عليه السلام وهو يوصي بنيه الاحد عشر لما خرجوا من عنده قاصدين مصر لجلب الميرة (١) (يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا) مدينة مصر (مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ) من ابوابها (وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ) انما

(١) الميرة : الطعام

امرهم بذلك لانه خاف عليهم العين (١) لانهم قد اعطوا جمالا وامتداد قامة وقوة وكانوا اولاد رجل واحد . والعين حق كما ورد في الحديث الشريف المتفق عليه وانكره بعض المبتدعة وزعم بعض الطبيعيين انه تنبعث من عين العائن للمعيون قوة سمية تؤثر فيما نظره واستحسنه

(١٢٨)

قال تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام وهو يوصي بنيه (يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا) الى مصر ثانية (فَتَحَسَّسُوا) تعرفوا وتطلبوا (مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ) بنيامين (وَلَا تَيْأَسُوا) اي لا تقنطوا (مِنْ رَوْحِ اللَّهِ) أي رحمته وفرجه (إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) بالله وصفاته لان سبب اليأس هو عدم التصديق بالصانع وصفاته الكمالية .

(١٢٩)

قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ) أي يحترز ترك المأمورات وارتكاب المنهيات (وَيَصْبِرْ) على البلايا والمحن (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) اي اجر من كان هذا حالهم لان من جمع بين التقوى والصبر فهو محسن .

(١٣٠)

ابراهيم

قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام مما وعظ به قومه (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ) اي أعلم (لَئِنْ شَكَرْتُمْ) بالعمل الصالح ما انعمت به عليكم

(١) العين : الاصابة بالعين

من الانجاء من آل فرعون وغير ذلك من النعم (لَأَزِيدَنَّكُمْ) نعمة الى نعمة فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود (وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ) جحدتم ما انعمت به عليكم (إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) لمن كفر نعمتي وهو في الدنيا بسلب النعم وفي العقبى بتوالى النقم · ثم من عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد و يعرّض بالوعيد فالوعد هنا قوله لأزيدنكم والوعيد قوله ان عذابي لشديد ·

(١٣١)

الحجر (قَالَ) ابراهيم عليه السلام (وَمَنْ يَقْنَطُ) اى ييأس (مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) اي المخطؤن طريق المعرفة فلايعرفون سعة رحمة الله

(١٣٢)

الكهف قال تعالى حكاية عن اهل الكهف يوصي بعضهم بعضاً (فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ) الورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة والمدينة هي طرسوس · ثم ان حملهم الورق عند فرارهم الى الكهف دليل على ان حمل النفقة ومايصلح للمسافر هو رأي المتوكلين على الله لا المتكلين على الاتفاقات (فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا) اي ايُّ اهل المدينة اطيب او اكثر او احل طعاماً لان معنى الزكاة الزيادة والنمو فالطيب فيه زيادة معنوية دنيوية والاكثر فيه زيادة حسية دنيوية والاحل فيه زيادة معنوية اخروية (فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ) اى قوت (وَلْيَتَلَطَّفْ) اي وليتكلف اللطف فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يُغبن او في التخفي

حتى لا يُعرف (وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا) اى ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور بنا من غير قصد منه فسمي ذلك اشعاراً منه بهم لانه سبب فيه ·

(١٣٣)

قال تعالى مما حكاه عن رجل مؤمن في بنى اسرائيل يحاور اخاه غير المؤمن (وَلَوْلَا) هلا (إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ) كائن اقراراً منك بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها (لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) اعترافا بالعجز على نفسك و بالقدرة لله تعالى وان ما تيسر من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته تعالى واقداره · وعن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال من رأى شيئاً فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره عين ·

(١٣٤)

طه

(قَالَ) فرعون موجها الخطاب الى موسى وهرون عليهما السلام (فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى) اقتصر على موسى لانه الاصل واشتغل معه بالمناظرة ولم يبطش به مع شدة بأسه ووفرة عسكره لئلا ينسب الى الجهل لان الاخذ بالايذاء بدون حجة سفه وجهالة (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) اى صورته وشكله الذى يطابق مصلحته ومنفعته (ثُمَّ هَدَى) اى هداه كيف يرتفق (١) بما اعطيه وبما يتوصل به الى بقائه وكماله اختياراً او طبعا · ثم من تبصر في هذه الاية الكريمة التي هي في غاية الحسن من الفصاحة والبلاغة والمعربة عن حكمة الله في المخلوقات وهدايته لهم يدخل

(١) يرتفق : ينتفع

في بحر لا ساحل له ولنبين من ذلك قطرة وهو انه تعالى ركب الاشياء على خلق وشكل خاص وابدع فيها قوى مخصوصة ثم هداها باعمال تلك القوى الى ما فيه مصالحها ومنافعها فمن تأمل في خلقة الاسماك والطيور عندما تحرك اجنحتها وترتفع بها الى الاعلى ثم تذهب مستقيمة ثم تنزل الى الاسفل وتأمل في الرضيع حينما يلف لسانه على حلمة ثدي امه ليمتص منه اللبن وفكر في عجائب النحل في تركيبها البيوت المسدسة وفي النمل في اهتدائها الى مصالحها يعلم بان ذلك لا يمكن الا بالهام مدبر عالم بجميع مخلوقاته وهو الله جل وعلا (١٣٥)

(وقَالَ لَهُمْ مُوسَى) اى لسحرة فرعون (وَيْلَكُمْ) كلمة زجر وردع عما لا يرتضى وفي الاصل دعاء بالهلاك (لَا تَفْتَرُوا) اى لا تختلقوا (عَلَى اللهِ كَذِبًا) بأن تدعوا آياته ومعجزاته سحراً (فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ) يهلككم اجمعين (وَقَدْ خَابَ) خسر ولم يظفر (مَنِ افْتَرَى)

(١٣٦)

النمل

(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) الفعلة القبيحة (وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) تعلمون قبحها، واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او معناه يبصرها بعضكم من بعض فتكون افحش (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ) التعبير بالرجال دون الذكران تقبيح على تقبيح (شَهْوَةً) اى للشهوة ومقتضاه النفرة لا الشهوة اذ هي ليست في محلها وهذا ايضاً مما يدل على قبحه (مِنْ دُونِ النِّسَاءِ) اللاتي خلقن لذلك «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ»

سفهاء لا تميزون بين الحسن والقبيح ·

(١٣٧)

القصص

(قَالَ) موسى عليه السلام بعد ان قتل القبطي لاغاثة الاسرائيلي عليه (رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) اسئلك بحق انعامك علي بالمغفرة والستر اعصمني (فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ) اى معاونا لاحد من المذنبين وفي هذه الآية دلالة على انه لا يجوز معاونة الظلمة والفسقة ·

(١٣٨)

(إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ) طلب العلو والتحكم عليهم او تكبر عليهم او ظلمهم (وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ) الاموال المدخرة (مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ) مفاتيح صناديقه (لَتَنُوءُ) تثقل (بِالْعُصْبَةِ) هي الجماعة من العشرة فصاعدا (أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ) اى لا تبطر بكثرة المال واصل معنى الفرح السرور (إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) لا يرضى عنهم (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ) اى اطلب من الغنى والثروة (الدَّارَ الْآخِرَةَ) بان تصرفه الى ابواب الخير (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) اى لا تترك ترك المنسي حظك منها بان تتمتع بالوجوه المباحة وكأنه كان مستغرق الهمّ في طلب الدنيا ولم يتفرغ للتنعم والتلذذ فنهاه الواعظ عن ذلك (وَأَحْسِنْ) الى عباد الله بالمال والجاه (كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ) اي فيما انعم عليك (وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ) اى ولا

تطلب بما آتاك الله من الغنى الفساد بالظلم والبغي (إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)

(١٣٩)

لقمان قال تعالى حكاية عن لقمان وهو يعظ ابنه (يَا بُنَيَّ) تصغير ابن وهو تصغير محبة وشفقة (أَقِمِ الصَّلٰوةَ) أدّها او حافظ عليها تكميلا لنفسك (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ) قد مر بيان معني المعروف والمنكر في عدد ٥٥ (وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ) من الشَّدَائِدِ والمحن (١) (إِنَّ ذٰلِكَ) اي الصبر او كل ماذكر (مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) اى من الامور المعزومة يعني المقطوعة قطع ايجاب (وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) اى لا تلوه لهم اعراضاً عنهم كما يفعله المتكبرون (وَلاَ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً) اى تكبراً واعجابا واصله شدة الفرح (إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ) اى متكبر (فَخُورٍ) اى مباهٍ بعدد مناقبه تطاولا (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) اى توسط بين الافراط فيه والتفريط اى لا اسراعا ولا دبيباً (وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ) أى اقصر منه وانقص (إِنَّ أَنْكَرَ) اسيء اوحش واقبح (الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) اوله زفير وآخره شهيق . وفي تشبيه الصوت المرتفع بصوت الحمار تنبيه على ان رفع الصوت في غاية الكراهة .

(١٤٠)

المؤمن (وَقَالَ مُوسٰى) لما توعده فرعون بالقتل (إِنِّي عُذْتُ) اى لذت

(١) جمع محنة وهى الاختبار والامتحان

واعتصمت (بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ) متعظم في نفسه (لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ) وذلك لانه اذا اجتمع في الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء فقد استكمل اسباب القسوة والجراءة على عباد الله ولم يترك عظيمة الا ارتكبها (١٤١)

(وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) أي اقاربه (يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا) يعني موسى عليه السلام وهذا استفهام انكار عظيم (أَنْ) لان (يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ) وحده (وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) أي بما يدل على صدقه من المعجزات (وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) قد احتج عليهم بطريق التقسيم فانه لا يخلو اما ان يكون صادقا او كاذبا فان يك كاذبا فعليه وبال كذبه ولا يتخطاه وان كان صادقا فلا اقل من ان يصيبكم بعض ما يعدكم من العذاب وكأن ابا العلاء المعري اخذ من هذه الآية قوله :

زعم المنجم والطبيب كلاهما لا تبعث الاموات قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالخسار عليكما

(إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ) مجاوز للحد (كَذَّابٌ) بادعائه وهذا احتجاج ثان والمعنى انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله واهلكه وما هداه بالبينات فتخلصون منه

ذكر ما يشتمل على ما اثنى الله به على عباده المؤمنين من الفضائل وما امتن به عليهم من الفواضل

(١٤٢)

البقرة

(وَكَذٰلِكَ) اي كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم (جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) اي عدولا او خياراً ، والوسط في الاصل المكان الذي تستوي فيه المساحة من الجوانب ثم استعير لاعتدال الخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي الافراط والتفريط كالجود بين الاسراف والتقتير والشجاعة بين التهور والجبن ثم صار وصف مدح بالعدالة في الشهادة وفي غيرها (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) يوم القيمة ان رسلهم بلغتهم (وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) انه بلغكم او معناه يكون شاهدا لكم بعدالتكم .

(١٤٣)

(اَللّٰهُ وَلِيُّ) متولي امر (الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ) بتوفيقه وهدايته على الاستمرار (مِنَ الظُّلُمَاتِ) ظلمات الجهل واتباع الهوى والشبه المؤدية الى الكفر (اِلَى النُّورِ) اي الى الهدى الموصل الى الايمان . فان قيل اجمع المفسرون على ان المراد من الظلمات والنور هنا الكفر والايمان ومن آمن حقيقة فهو مخرج من الكفر فلا يتصور اخراجه اجيب بان العبد لو خلا عن توفيق الله وهدايته لوقع في الظلمات فصار توفيقه سبباً لدفع تلك الظلمات عنه و بين الدفع والرفع مشابهة فبهذا الطريق يجوز استعمال

الاخراج بمعنى الدفع والرفع

(١٤٤)

آل عمران

(الصَّابِرِينَ) على عمل الطاعات وترك المحظورات وعلى ما ينزل بهم من الشدائد والمصيبات (والصَّادِقِينَ) قولا بمجانبة الكذب وفعلا بالإتيان بالفعل تماماً ونية بامضاء العزم (وَالْقَانِتِينَ) المطيعين الخاضعين (وَالْمُنْفِقِينَ) المتصدقين قال الفخر و يدخل فيه انفاق المرء على نفسه وعياله واقاربه وصلة رحمه وفي سائر وجوه البر (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) خصص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب للاجابة و النفس فيها اصفى والروح اجمع . ثم ان الصابرين وما عطف عليه منصوب على المدح والممدوح هم الذين آمنوا واتقوا والمذكورون قبل .

(١٤٥)

(وَاعْتَصِمُوا) أي تمسكوا ايها المؤمنون (بِحَبْلِ اللَّهِ) أي دينه الاسلام او كتابه لقوله عليه الصلاة والسلام القرآن حبل الله المتين واستعير له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة من الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة من التردي (جَمِيعاً) مجتمعين عليه (وَلَا تَفَرَّقُوا) أي ولا تتفرقوا عن السلام كتفرقكم في الجاهلية (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً) في الجاهلية (فَأَلَّفَ) جمع (بَيْنَ قُلُوبِكُمْ) بالاسلام (فَأَصْبَحْتُمْ) صرتم (بِنِعْمَتِهِ) التي هي التأليف (إِخْوَاناً) في الدين .

(١٤٦)

(كُنتُمْ) اي وجدتم او صرتم او معناه كنتم منذ آمنتم (خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ) أي اظهرت (لِلنَّاسِ) أي لنفعهم ومصالحهم بسبب كونكم (تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ) قد سبق بيان معنى المعروف والمنكر في عدد ٥٥

(١٤٧)

(الَّذِينَ) نعت للمتقين المذكورين قبل (يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ) أي في حالتي اليسر والعسر والرخاء والشدة (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) الممسكين على شدة الغضب عن امضائه مع القدرة (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) التاركين عقوبة من جنى عليهم (وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) بايصال النفع الى الغير ويدخل تحته هؤلاء المذكورون .

(١٤٨)

(لَقَدْ مَنَّ اللهُ) انعم نعمة عظيمة (عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ) اي من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) اي القرآن (وَيُزَكِّيهِمْ) يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) اي السنة ومحاسن الشريعة (وَإِنْ) وانهم (كَانُوا مِنْ قَبْلُ) من قبل بعثه (لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) اي جهالة وحيرة عن الهدي بينة

(١٤٩)

المائدة

قالى تعالى بعد ان ذكر فرائض الوضوء والغسل والتيمم عند عدم الماء (مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ) اي بما فرض عليكم من ذلك . وهذه الاية تدل على ان الاصل في المضار ان لا تكون مشروعة اذ ان دفع الضرر مستحسن في العقل فيكون كذلك في الشرع (وَلٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ) اي لينظفكم او معناه ليطهركم من دنس الذنوب (وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ) قال البيضاوى اي يتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة (١) لذنوبكم (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) نعمته عليكم

(١٥٠)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ) اي يرجع (مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ) الى الكفر (فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ) يرضى عنهم (وَيُحِبُّونَهُ) يريدون طاعته وحقيقة المحبة ميل النفس الى الشيء المستلذ فهي هنا في الموضعين مجاز (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) اى عاطفين عليهم على وجه التواضع (أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) اشداء متغلبين عليهم (يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ) يعني ان هؤلاء جامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه فلا يأخذهم في نصره لومة لائم (ذٰلِكَ) اى ما وصف به القوم من المحبة وما بعدها (فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ

(١) قال الشهاب مطهرة ومكفرة الظاهر فيه الفتح كقولهم الولد مبخلة مجبنة اي سبب للبخل والجبن

وَاسِعٌ) كثير الفواضل (عَلِيمٌ) بمن هو من اهلها وفي هذه الآية اخبار عن الغيب اذ قد ارتد بعد موت النبي جماعة . وروي انها لما نزلت قال عليه الصلاة والسلام قوم هذا واشار الى ابي موسى الاشعرى وقومه اهل اليمن وهو من صميمها (١)

(١٥١)

الاعراف (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ) طائفة (يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ) اي بالحق خاصة (يَعْدِلُونَ) اي في الامور اي يجعلونها متعادلة لا زيادة في شيء منها على ما ينبغي ولا نقص . واكثر المفسرين على ان تلك الامة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله

(١٥٢)

(إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ) وسوسة بفعل المعاصي اوغضب واصل معنى الطائف ما يلم بالانسان من حادثة ونازلة وخيال وغير ذلك شبه بالطائف حول الانسان (مِنَ الشَّيْطَانِ) اي جنس الشيطان لا ابليس فقط (تَذَكَّرُوا) عقاب الله وثوابه وما امر الله به وما نهى عنه (فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها .

(١٥٣)

الرعد (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ) يتعظ (أُولُوا الْأَلْبَابِ) اصحاب العقول السليمة من مشايعة (٢) ما الفته النفس ومتابعة ما وهمته (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ)

(١) الصميم الخالص من الشيء (٢) المشايعة : المتابعة

أي ما الزم الله به عباده فيدخل فيه الاتيان بجميع المأمورات والانتهاء عن كل المنهيات (وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَاقَ) أي ولا يبطلون ما وثقوه بينهم وبين الله تعالى من النذور وغيرها وبينهم وبين العباد من العقود ونحوها (وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ) من الارحام والقرابات وغيرها كالتودد مع الناس بعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم واجابة دعواهم ومواصلتهم بالاحسان اليهم ونحو ذلك من ابواب البر (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) يعني مع وفائهم بما ذكر يخافون الله مع التعظيم والاجلال (وَيَخَافُونَ سُوءَ ٱلْحِسَابِ) اى الحساب السيء وهو المؤاخذة بكل ما عملوه (وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا) على ما تكرهه النفس من المصائب وما يخالف الهوى (ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ) طلباً لرضاه لا لغرض كأن يقال ما اصبره على النوازل واقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب في الجزع ولا تشمت به اعداه (وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) قف على عدد ١٧١ (وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ) كدفع السفه بالحلم والاذى بالصبر والسيء من الكلام بالحسن منه والظلم بالعفو مع المقدرة والمقاطعة بالمواصلة وعن ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح العمل السيء وهو معنى قوله تعالى (إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ) (أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ) اي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة

(١٥٤)

(وَجَٰهِدُوا) ايها المؤمنون (فِي ٱللَّهِ) لله (حَقَّ جِهَادِهِ) هو استفراغ

الوسع والطاقة في مجاهدة العدو الظاهر عدو الدين ومجاهدة العدو الباطن النفس والهوى . وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال لما رجع من غزوة تبوك رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر . وان ابن عباس قال لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد (هُوَ اجْتَبَاكُمْ) اختاركم لدينه ونصرته (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) اي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم وفيه اشارة الى انه لاعذر لهم في تركه اواشارة الى الرخص في ترك بعض ما امروا به عند الضرورات كقصر الصلاة للمسافر والتيمم عند عدم الماء واكل الميتة للمضطر والفطر في رمضان للمريض والمسافر .

(١٥٥)

المؤمنون

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) فازوا بمرامهم (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) حاضرو القلب ساكنو الجوارح او خاضعون متذللون (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) اللغو الساقط من الكلام الذي لا يعتد به كالهزل والشتم او كل باطل ولهو وما ليس بجميل من قول وعمل (وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَاعِلُونَ) مؤدون (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ) من (أَزْوَاجِهِمْ) زوجاتهم (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) أي الاماء والجواري وخص ما ملكت ايمانهم بالاناث بقرينة الاجماع وجعل الزمخشري اطلاق لفظ ما قرينة على ارادة الاماء فان المرأة لا يجوز لها الاستمتاع بفرج مملوكها وهذا ظاهر بقرينة الضمير (فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) في اتيانهن (فَمَنِ ابْتَغَىٰ

وراء ذلك) اي فمن طلب قضاء شهوة من غير الزوجات والسراري (فأولئك هم العادون) المجاوزون الحد من الحلال الى الحرام (والذين هم لأماناتهم وعهدهم) اي لما ائتمنوا عليه وما عاهدوا عليه من جهة الحق وهو شرائعه وتكاليفه ومن جهة الخلق وهو ظاهر (راعون) اي حافظون (والذين هم على صلواتهم يحافظون) يواظبون عليها و يؤدونها في اوقاتها

(١٥٦)

الفرقان

(وعباد الرحمن) اضافتهم للرحمن لتفضيلهم على من عداهم لكونهم مرحومين والا فالخلق كلهم عباد الرحمن (الذين يمشون على الأرض هونا) اي بسكينة وتواضع والهون في الاصل مصدر بمعنى الرفق واللين (وإذا خاطبهم الجاهلون) أي السفهاء بما يكرهونه (قالوا سلاما) اي صوابا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم .

(١٥٧)

(والذين) اي عباد الرحمن المؤمنون (إذا أنفقوا لم يسرفوا) اي لم يجاوزوا الحد في النفقة بحيث ينفقون فيما لا يحتاج اليه وقيل معناه لم ينفقوا في المعاصي فعلى الاول هو اسراف في الكمية وعلى الثاني اسراف في الكيفية وحقيقة الاسراف التجاوز عن الحد مطلقا (ولم يقتروا) اي ولم يضيقوا و يقصروا عما لا بد منه وقيل معناه لا يمنعوا الواجب (وكان) انفاقهم (بين ذلك) اي بين الاسراف والتقتير (قواما) وسطا عدلا سمي الوسط بالقوام لتعادل الطرفين كأن كلا منهما يقاوم الاخر .

(١٥٨)

(وَٱلَّذِينَ) أي عباد الرحمن المؤمنون (لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ) أي لا يحضرون محاضر الكذب والباطل فان مشاهدة الباطل شركة فيه لاشعاره بالرضا او معناه لا يشهدون بالزور أي لا يقيمون الشهادة الباطلة (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ) أي ما يجب ان يلغى ويطرح من الكلام القبيح والفعل القبيح (مَرُّوا كِرَاماً) مكرمين انفسهم عن التلوث به (وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) أي وعظوا بالقرآن (لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَاناً) أي لم يقيموا على سماعها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر .

(١٥٩)

القصص

(وَإِذَا سَمِعُوا ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ) تكرما لا عجزا (وَقَالُوا) للاغين (لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) سلام متاركة واعراض لا سلام تحية (لَا نَبْتَغِي ٱلْجَاهِلِينَ) أي لا نطلب صحبتهم ومخالطتهم .

(١٦٠)

الزمر

(فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ) من اوامر الله تعالى (فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) كالانتصار من الظالم والعفو عنه فيتبعون العفو لانه احسن الامرين او معناه يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساوٍ فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه وعلى كل ففي الاية دلالة على انهم نقاد في الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل .

(أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ وَأُولٰئِكَ هُمْ أُولُو ٱلْأَلْبَابِ) قد مر بيان معنى الالباب في عدد ١٥٣

(١٦١)

الشورى

(وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ) اي كل ذنب تعظم عقوبته كالزنا والسرقة (وَٱلْفَوَاحِشَ) ما فحش قبحه (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ) اي اجابوه لما دعاهم اليه من طاعته (وَأَقَامُوا ٱلصَّلٰوةَ وَأَمْرُهُمْ) ذو (شُورٰى بَيْنَهُمْ) لا ينفردون في امر برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم في الامور (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) في وجوه الخير (وَٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ) الظلم والعدوان (هُمْ يَنْتَصِرُونَ) ينتقمون ممن ظلمهم من غير تعد لانهم كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم وقد وصفهم الله بالشجاعة وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فان العفو عن العاجز المعترف بذنبه محمود كما ان الحلم عن المخالف المصر مذموم لانه ينبيء عن العجز . ثم بين تعالى ان شرعة الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) سمي الجزاء وهو الانتصار سيئة وان لم يكن سيئة لتشابههما في الصورة وقيل للمشاكلة او لانها تسوء من تنزل به (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ) اي بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء (فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) المبتدئين والمتجاوزين في الانتقام (وَلَمَنِ ٱنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ) اي بعد ما ظلم (فَأُولٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) بالمعاتبة والمعاقبة (إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ)

يبدؤنهم بالاضرار ويزيدون في الانتقام (وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) اي يتكبرون او يتسلطون او يفسدون (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ) على الاذى (وَغَفَرَ) تجاوز عن ظالمه (إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) اي من الامور المعزومة يعني المقطوعة التي ينبغي ان يوجبها العاقل على نفسه ولا يترخص في تركها

(١٦٢)

الحشر

(وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ) اي الانصار الذين اتخذوا المدينة المنورة منزلا وألفوا الايمان من قبل المهاجرين (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً) اي لا يجدون في انفسهم حزازة (١) وغيظا وحسدا او طلب محتاج اليه (مِمَّا أُوتُوا) اي اعطي المهاجرون من الفيء (٢) وغيره (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) اي يقدمون المهاجرين في كل شيء من اسباب المعاش ولو كان بهم فاقة واحتياج الى ما يؤثرون حتى ان من كان عنده امرأتان ينزل عن احداهما ويزوجها واحدا من المهاجرين وروي انه نزل برجل منهم ضيف فنوم الصبية وقرب الطعام للضيف واطفأ المصباح ليشبع ضيفه ولا يأكل هو وانه اهدي لبعضهم رأس مشوي وهو مجهود فوجهه الى جاره فتداولته تسعة انفس حتى عاد الى الاول نفعنا الله ببركتهم اجمعين (وَمَنْ

(١) الحزازة : وجع في القلب من غيظ ونحوه (٢) الفيء : الغنيمة بلا مشقة اي ماحصل للمسلمين من اموال الكفار من غير حرب ولا جهاد

يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) اي بخلها مع الحرص او لؤمها (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) اي الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل

(١٦٣)

المزمل

(عَلِمَ) الله (أَنْ) انه (سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ) يسافرون للتجارة (يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ) يطلبون من رزقه وهو الربح بالتجارة (وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ) وهم الغزاة وكل من الفرق الثلاث يشق عليهم ما ذكر من قيام الليل فخفف عنهم بقيام ماتيسر بقوله تعالى (فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) اي من القرآن السابق ذكره وقد اراد بالقرآن الصلاة لانه بعض اركانها اي فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من قيام الليل وهذا ناسخ لقيام الليل المذكور في الآية التي هي قبل ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس . وقد وصف الله المؤمنين في هذه الآية بخصلتين حميدتين وهما السفر للتجارة والجهاد في سبيل الله وسوى بين درجة المجاهدين والمكتسبين للمال الحلال لنفقته على انفسهم وعيالهم وللاحسان به فكان هذا دليلا على ان كسب المال الحلال بمنزلة الجهاد لان الله جمعه مع الجهاد في سبيله .

(١٦٤)

الانسان

(وَيُطْعِمُونَ) اي الابرار (الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ) أي مع حب الطعام والاشتهاء والحاجة اليه وذلك اشرف انواع الاحسان لان بالطعام قوام (١)

الابدان وقيل معناه لحب الله أي لوجهه وابتغاء مرضاته (مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)

(١) القوام : نظام الامر وعماده

خص هؤلاء الثلاثة بالذكر لان المسكين فقير عاجز عن الاكتساب بنفسه واليتيم مات من يكتسب له وبقي عاجزا عن الكسب لصغره والاسير لم يملك لنفسه نصراً ولا حيلة وكان عليه الصلاة والسلام يؤتى بالاسير فيدفعه الى احد المسلمين ويقول له احسن اليه . ويقولون (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ) أي ابتغاء مرضاته (لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) أي لا نريد مكافأة ولا ثناء على ذلك . وهل يقولون ذلك بلسان المقال لدفع الامتنان وتوهم توقع المكافأة او بلسان الحال لما يظهر عليهم من أمارات الاخلاص فاثنى به الله عليهم قولان .

ذكر ما يشتمل على ما ادب الله به عباده المؤمنين

(١٦٥)

البقرة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ) على فعل الطاعات وترك المحظورات فيه تنالون كل فضيلة (وَالصَّلَوٰةِ) فهي تنهى عن كل رذيلة . وروي انه عليه الصلاة والسلام كان اذا حزبه [1] امر فزع الى الصلاة «إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» بالمعونة والنصر لهم

(١٦٦)

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) اي لا يأكل بعضكم اموال بعض بغير حق اي بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى فيدخل فيه كل ما اخذ بطريق الحرام كالنهب والغصب والسرقة والرشوة والقمار واجرة الملاهي والخيانة

(١) حزبه : اصابه